

بسم الله الرحمن الرحيم

## من حياة الأتقياء (البخاري)

### الحلقة التاسعة والعشرون

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين، نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:-

أيها المستمعون الكرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نقف اليوم مع طرف من حياة أحد الأتقياء ، إنه محمد بن اسماعيل البخاري. إنه أنموذج من حياة الأتقياء .

ومن مواقفه اللطيفة في صباه ، يقول : كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟ فقلت اثنين، وأردت بذلك حديثين، فضحك من حضر المجلس، فقال شيخ منهم لا تضحكوا فلعله يضحك منكم يوماً .

وصدق الشيخ ، ولكن البخاري لا يضحك من أحد استهزاءً ، وكان ذلك الشيخ قال تلك المقولة ، لما عرف منه من علامات النجاة والذكاء ، وتفرد فيه المستقبل العلمي .

ومما أجمع عليه أهل العلم من هذه الأمة أن أصح كتاب بعد كتاب الله سبحانه هو الكتاب الذي صنّفه هذا الفتي (محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله) هذا الكتاب الذي لقي قبولاً عند الناس ، ونفع الله به خلقاً كثيراً . يحدث البخاري عن سبب جمعه لهذا الكتاب فيقول : كنت عند إسحاق بن راهويّة فقال بعض أصحابنا لو جمعت كتاباً مختصراً لسنن النبي صلى الله عليه وسلم فوق ذلك في قلبي فأخذت في جمع هذا الكتاب .

وأما في منهج البخاري (رحمه الله ) في كتابته لهذا الجامع فقد ذكرنا أمراً عجباً يندر أن يوجد عند غيره من المؤلفين ، استمع إليه وهو يقول : " ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً

إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين" . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ورعه وتقواه ، ودقته من النقل ، وخشيته على نفسه من أن ينسب إلى رسو الله (صلى الله عليه وسلم) ما لم يقله .

ولا شك أن هذا المنهج منهج صعب فمن ذا الذي كلما أراد أن يكتب شيئاً في إطار التأليف ذهب يغتسل ويصلي ركعتين ، وليس هذا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو حتى عشرراً أو مائة ، إنه مرار وتكرار على مدار بضعة عشرة سنة قضاها في جمع الصحيح . وهذا المنهج يدل على صبره في طلب العلم وجمعه .

وهذا الموقف من حياة البخاري (رحمه الله) يعطي درساً بليغاً لرجال هذه الأمة في الصبر على طلب العلم ، وبذل الجهد فيه والإخلاص في الطلب والتأليف . وإن كثيراً من شباب المسلمين لم يمنعهم من تحصيل العلم إلا قلة الصبر وعدم بذل الجهد فيه . فعلى قدر الجهد المبذول يكون التحصيل .

ومن منهج البخاري أيضاً في جمع هذا الصحيح قوله : " ما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب " فما في هذا الكتاب إلا ما هو صحيح عنده ، وكذلك هو عند عامة المسلمين .

وإلى طرف آخر من جده واجتهاده ، قال محمد بن يوسف البخاري قال كنت مع محمد بن إسماعيل بمنزله ذات ليلة فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثمان عشرة مرة .

وقال محمد بن أبي حاتم الوراق كان أبو عبد الله إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلا في القيظ أحيانا فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة في كل ذلك يأخذ القداحة فيوري نارا ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها .

هكذا هم أهل العلم الذين انتفعوا به ونفعوا به الأمة ، هم الذين لا يمنعهم النوم عن طلبه ، بل يتركون النوم من أجله، إلى الحد الذي لا يضر معه أبدانهم ، وهذا هو الإمام

البخاري (رحمه الله) يستيقظ في الليلة الواحدة بضع عشرة مرة من اجل تسجيل العلم وتوثيقه ، والتعليق على كتبه . فمن ذا الذي يصنع كما يصنع البخاري (رحمه الله) .

ولنا أن نتساءل الآن كيف كانت حال البخاري (رحمه الله) مع أقرانه ، يصف لنا هانئ بن النضر فيقول: "كنا عند محمد بن يوسف يعني الفريابي بالشام وكنا نتنزه فعل الشباب في أكل الفرصاد ( التوت وقيل حملة) ونحوه وكان محمد بن إسماعيل معنا وكان لا يزاحمنا في شيء مما نحن فيه ويكب على العلم" حتى وقت التنزه مع أقرانه من الشباب فلم يكن يضيع وقته ، بل يشتغل بالعلم (رحمه الله) فهذا هو الذي يعرف قيمة الوقت فيحافظ عليه .

وهذا الطرف من حياته (رحمه الله) أسوقه إلى فتياننا اليوم أهل النزهة والسياحة، فمنهم من يسرف على نفسه في هذا الجانب فيضيع فيه وقتاً كثيراً ، فتذهب أوقاته هدرًا ، ففي الصباح نزهة ، وفي المساء نزهة. وفي الليل نزهة، وفي النهار نزهة . وكل وقته نزهة ، هنا وهناك ، في البراري والاستراحات ، عند الأنهار والبحار ، وفي كل مكان . فهذا الصنف من الشباب متى يكون وقت الجدد عنده ، متى وقت العلم والطلب . وليت الأمر يقف عند هذا الحد من النزهة المباحة ، بل يتعدى الأمر ببعضهم إلى ارتكاب المحرمات وتضييع الواجبات ، فيضيعون إلى إضاعة أوقاتهم آثاماً تحملوها بأفعالهم .

وهناك نوع آخر من الفتيان وفقهم الله لا تغيب عنهم سيرة البخاري وأمثالهم وإن خرجوا للنزهة فإن أوقاتهم لا تضيع هدرًا ، إضافة إلى حرصهم على أنفسهم من عدم تضييع الواجبات أو الوقوع في المحرمات ، فيرجعون من نزهتهم بخير كثير من علم نافع وعمل صالح .

ولنا أيضاً وقفة أخرى في جانب من حياته ، هل كان البخاري رحمه الله في تلك الحال رجلاً جلدًا قويًا يتحمل مصاعب الطريق وعناء السفر ، وهل كان من الرجال الكبار الذين اعتادوا الأسفار ؟

نسمع الإجابة على هذا التساؤل من محمد أبي حاتم الوراق يقول : سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام (أي أنه كان صغيراً حين ذاك)، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتما على وألحتما فاعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ثم قال أترون أي تختلف هدرا وأضيع أيامي فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد .

أيها المستمعون الكرام ، في الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عباده المتقين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد على آله وصحبه أجمعين ...